ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

جوانب من الحياة اليومية للنساء الليبيات في أحاديث هيرودوت

Aspects of the daily life of Libyan women in the sayings of Hérodotus

حدة قادري

جامعة الجزائر2 (الجزائر)،مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط ، hadda.kadri@univ-alger2.dz

تاريخ الإستلام: 21/ 08 / 2021 **تاريخ القبول**: 11/ 03 / 2022 **تاريخ النشر**: 05/ 04 / 2022

ملخص:

تميزت المصادر التي عرفتنا المجتمع اللوبي القديم بندرتها وصمتها كما كانت خليطا بين الحقائق والأساطير، ورغم هذا النقص فهي تتيح للمؤرخ معرفة تلك الشعوب والجماعات القديمة والإلمام بمكونات ثقافتها وإبراز تأثيرها،وعليه يلجأ الباحث في دراسة تاريخ المنطقة للمصادر التاريخية الإغريقية أو اللاتينية،في دراستنا هذه سنتطرق لأحد تلك المصادر ذات الأهمية البالغة في التأريخ لبلاد المغرب القديم إجتماعيا من خلال مؤلف هيرودوت أول الكتاب الإغريق الذين اهتموا بالليبيين .

تهدف دراستنا لمعرفة ما قدمه المؤرخ هيرودوت صاحب التواريخ، باعتباره أحد أبرز المصادر التي قدمت لنا صورة عن الحياة الإجتماعية لمختلف القبائل الليبية ونخص بالذكر المرأة منها التي تناولها وبشيء من التفصيل خاصة فيما تعلق بنشاطاتها وحياتها اليومية.

الكلمات المفتاحية: المجتمع اللوبي؛المرأة ؛ المصادر؛ حياة إجتماعية؛قبائل ليبية؛ هيرودوت.

***

Abstract:

The sources that introduced us to the old lobby society were characterized by their rarity and silence, and despite this deficiency, they allow the historian to know those ancient groups and to be familiar with the components of their culture and to highlight their influence. In this study, we will address one of those sources of great importance in the history of the ancient Maghreb through the author of Herodotus, the first Greek writer who cared about the Libyan.

Our study aims to find out what the historian Herodotus, the author of the Book of Histories, presented as one of the most important sources that told us how the social life of the various Libyan tribes was , especially women, who dealt with them in some detail, especially with regard to their activities and daily life.

Keywords: lobby society; women ; sources; the social life; Libyan tribes; Hérodotus

I. مقدمة

تناولت المصادر الكلاسيكية منذ القرن الخامس قبل الميلاد الى القرن السادس الميلادي تاريخ بلاد المغرب القديم ،وقد عرفت المناطق الممتدة بين السيرت الأكبر والمحيط الأطلسي باسم لوبة هكذا سمتها النصوص المصرية الفرعونية والإغريقية وأشار القدماء إلى سكانها باسم عرقي هم اللوبيون،فتطرقت الى الطبيعة والسكان والمقدرات الإقتصادية، وذكرت ملوك المنطقة والدول التي نشأت بها وجاءت المعلومات على العموم مقتضبة وغير كافية لكنها تكتسي أهمية بالغة لا يمكن الإستغناء عنها، لأن أصحابها عاصروا الأحداث.

تاريخ المغرب القديم يبقى بحاجة لمزيد من الدراسات في الحياة الاجتماعية التي لم تلق ما تلقاه الجوانب السياسية والعسكرية والإقتصادية من إهتمام ،والنصوص القديمة تساعدنا في دراسة المجتمع المغربي القديم ومنها ما جاء به هيرودوت صاحب التواريخ،ويعرف الكتاب الرابع من هذا المصنف باسم الكتاب الليبي وقد تحدث فيه عن القبائل الليبية المتواجدة في المنطقة الممتدة من غرب منطقة وادي النيل وحتى سواحل المحيط الأطلسي .وقد تناولها وبشيء من التفصيل خاصة فيما تعلق بصفاتهم وبعض أنواع نشاطهاتم.

يبقى موضوع المرأة من بين المواضيع التي غابت أو ربما غيبت عمدا في تاريخ المغرب القديم إلا إذا استثنينا بعض الشذرات والإشارات المقتضبة التي وردت في كتابات المؤرخين ولعل أهمها كتابات هيرودوت.وعليه نطرح إشكالية دراستنا كيف تناول هيرودوت موضوع المرأة اللوبية؟ والي أي مدى يمكننا إعتماد ماجاء به هيرودوت في دراسة المجتمع اللوبي القديم ؟

الهدف من دراستنا هذه هي التعرف على جانب من جوانب المجتمع المغاربي القديم من خلال إعتماد ما جاء به هيرودوت وخاصة لما تناول المرأة اللوبية ،محاولين إبراز الادوار التي تقلدتها في مجتمعها .

ولأجل الإلمام بموضوعنا تناولنا العناصر: حيث بدأناه بتعريف لهيرودوت صاحب مؤلف التواريخ،ثم نتطرق لما جاء به في مؤلفة من خلال حديثه عن الليبيات وفي جوانب عدة منها اللباس،الزواج ثم العادات والتقاليد.

أولا: من هو هيرودوت (Hérodotus)

يعتبر هيرودوت أو هيرودوتوس Hèrédotos كما يسمى بالإغريقية Ηρόδοτος من مؤرخي القرن الخامس قبل الميلاد، أجمعت أغلب المصادر أنه ولد بهاليكارنس Halicarnassus أو بودرون الحالية Budrun جنوب غرب آسيا الصغرى حوالي 485 ق.م (خفاجة، 1966، صفحة 12)،فتاريخ ميلاده لم يحدد بدقة إذ يضعه البعض قبيل حملة إكسيرلسيس أي بين 490-480ق.م ،ويحدده آخرون بعام 484ق.م (الذويب، 2003، الصفحات 17-18)،وعلى العموم فالمعلومات عن حياته المبكرة قليلة جدا (ملاح، 2001، صفحة 20).

هيرودوت اسم مركب من كلمتين الأولى"هيرا" وهي الربة الإغريقية والثانية"دوت" أو "دوتا" تعني أهدي أو أعطي، والإسم بالكامل يعني "هدية هيرا" أو"عطاء هيرا" تيمنا بهذه الربة (الأعشي، 2008، صفحة 19) وهي التسمية التي أطلقها عليه أبوه ليكيس "Lyxes"، وأمه تدعى رهويو "Rhoe" أو دريو "Dryo" وهي من أصل كاري (ملاح، 2001، صفحة 20). لديه أخ يدعى ثيودوروس تربطه صلة قرابة بالشاعر الغنائي بانيسيس Panyssis (الذويب، 2003، صفحة 18) ،أسرة هيرودوت الإغريقية معروفة بأدوارها في توجيه الحياة السياسية التي كانت تسعى للحرية والخلاص من حكم وظلم الطغاة (الأعشي، 2008، صفحة 18). شغف

هيرودوت منذ صغره بالدراسات والتعليم وأنكب على مطالعة الكتب المختلفة والأشعار والأدب والملاحم،وقد عاصر في بداية طفولته غزو الفرس (ملاح، 2001، صفحة 20).

أما عن تاريخ ومكان وفاته ففيه اختلاف أيضا فهناك من يقول أنه كان في ثوري قبل العام 420ق.م لأن هناك قبر نقش عليه اسم المؤرخ ولقبه نسبة لهذه المدينة،وهناك رواية أخرى تقول أنه مات في بيللا عاصمة مقدونيا(مكدونيا) (الذويب، 2003، صفحة 19).

لقب بأبو التاريخ Pater Histoire وأول من منحه هذا اللقب هو الشاعر الروماني الكبير شيشرون كيكرون(Cicéron, I,1,5) ،كما وصف بعدة صفات منها أنه محلل عميق للحياة البشرية ومؤرخ واثق من هدفه. زار أغلب العالم المعروف في زمانه كجزر الأرخبيل اليوناني رودس وديليوس وباروس وتاسوس وكريت وغيرها،كما زار مصر وبلاد الرافدين وفلسطين وعيلام والحواف الجنوبية لروسيا وأغلب الساحل الشمالي لإفرقيا (ملاح، 2001، صفحة 21)وصل إلى قورينة ومنها إستمد معلوماته حول بلاد المغرب التي تطرق لها في كتابه الثاني والرابع (الأعشي، 2008، صفحة 23)

بعد أن جمع المعلومات حول الأقطار التي زارها أو التي سمع عنها دونها في كتابه المعروف بالتواريخ أو تمحيص الأخبار فكلمة هيستوريا اللاتينية ومقابلها باليونانية Ιστορικός تعني الفحص أو البحث (خفاجة، 1966، صفحة 51). تاريخ هيرودوت في صورته التي نعرفه بها اليوم والمتكونة من تسع كتب ليس من عمل هيرودوت ولكنه عمل قام به علماء مكتبة الإسكندرية الذين خصصوا كل جزء منه لإحدى عرائس العلوم والفنون من بنات زوس التسعة،أما هيرودوت فحين كان يتحدث عن أجزاء كتابه يشير إليها بعبارات عامة، الأحاديث الليبية، الرويات الشفوية، الأحاديث المصرية...الخ (الأعشي، 2008، صفحة 20).

تضمن كتابه أخبار كثيرة عن حياة الشعوب الأخرى كالمصريين والبابليين والأشوريين وبلاد افريقيا وبلاد ما بين النهرين ويعد أول من تناول عادات الشعوب وأحوالها، رغم أن كتاباته كان يشوبها كثير من الأساطير التي يقول إنه سمعها، لقد قُسم كتابه إلى تسعة أجزاء هي: (حيدر، 1995، صفحة 96).

تضمن الجزء الأول معلومات عن مناطق الفرس والبابليين والثاني خصصه للحديث عن مصر يصف فيه البلاد وتاريخها وسكانها وعاداتهم،وفيه أورد مقولته الشهيرة: "مصر هبة النيل" (الذويب، 2003، صفحة 26). وفي الثالث تحدث عن غزو الملك قمبيز الفارسي لمصر والحرب الأهلية في فارس والتي كسبها ، وفي الرابع تحدث عن السكوثيين (سكان جنوبي روسيا في زمانه) الذين حاول داريوس مهاجمتهم نحو سنة 512 ق.م.

ولعل القاسم المشترك الذي يجمع بين هذه الكتب الأربعة هو التوسع الفارسي، مع إيراد أحداث بلاد اليونان التي ترافقت مع هذه التوسعات. أما الكتب الخمسة الأخيرة فقد خصصها تقويمياً للنزاع بين الإغريق والفرس. ففي الكتاب الخامس وجزء من السادس تحدث عن ثورة المدن الإيونية 499-494 ق.م التي تعد السبب المباشر للحروب الفارسية، في حين تستغرق معركة الماراثون الجزء الأخير من الكتاب السادس.وفي الجزء السابع يتحدث عن استعدادات الملك الفارسي إكسركسس (خِرخِس) Xerxes لغزو بلاد اليونان (ج.ايفانز، صفحة 8)، ومعركة ثرموبولاي في البر ومعركة أرتميسيوم في البحر. والجزء الثامن خصصه للحديث عن معركة سلاميس البحرية. أما الجزء التاسع فيختص بمعركة بلاتايا والهجوم الإغريقي على الأسطول الفارسي في موكالي ونهاية الحروب (الذويب، 2003، الصفحات 26-27).

إذا يدور محتوى كتاب هيرودوت حول محور واحد هو تاريخ حروب الاغريق مع الفرس (الأعشي، 2008، صفحة 20)، ويخلص بعد سرد تاريخه إلى القول إن الأثينيين هم أبطال اليونان دون منازع لأنهم بنوا أسطولاً استعداداً للحرب التي توقعوها، كما رفضوا الخضوع للفرس بعد احتلال أراضيهم، وبعدهم يأتي في

ثانيا: هيرودوت يتحدث عن الليبيات

يعد وصف هيرودوت لسكان المغرب القديم من أقدم المصادر الكلاسيكية حيث تناولها وبشيء من التفصيل خاصة فيما تعلق بصفاتهم وبعض أنواع نشاطهم يشير في كتابه الثاني الخاص بمصر أكثر من مرة لجيرانهم في الغرب،أما التفصيل فنجده في كتابه الرابع في ثلاثين فقرة (العقون، 2016، صفحة 91). أخبار هيرودوت هذه لا تغطي جميع أجزاء المغرب القديم إذ فيها تركيز على الجهة الشرقية والجنوبية من البلاد دون غيرها (شنيتي، 2012، صفحة 191) ، وقسم هيرودوت ليبيا إلى أربعة مناطق منطقة الساحل ومنطقة الحيوانات المتوحشة،الواحات والصحراء (هيرودوت، IV،174)،إعترف في كتابه الثاني من تاريخه أنه كتب كتابه من خلال ما شاهده وأيضا من خلال ما سمعه عن بعض الأقوام التي لم يستطع زيارتها (بنت النبي، 1016، صفحة 329) .

هيرودوت في تواريخه ركز على القبيلة ومجالها وتقاليدها ومعتقداتها فهو لم يتطرق لقضية الأصول الليبية، وعن السكان يقول هيرودوت:"يسكنها أربعة أمم(أقوام) وليس أكثر من ذلك حسبما نعرفه.إثنتان من الأمم محليتان والإثنتان الأخريان ليستا محليتين، وتسكن إثنان في شمال ليبيا وإثنان جنوبها،فالليبيون والإثيوبيون محليون،أما الفينيقيون والإغريق فهم غرباء قادمون من أماكن أخرى" (هيرودوت، IV،197) وفي موضع آخر من كتابه الثاني يقول"المنطقة الساحلية من ليبيا الممتدة من مصر الى رأس سوليس الذي يسجل نهاية القارة الليبية الى الغرب آهلة بالليبيون" (هيرودوت، II,32) ولكن رغم هذا فإن هيرودوت يعتبر مقارنة بباقي المصادر أوفاهم رغم أننا بعد تصفح الكتاب لا نعلم إلا القليل عن عادات القبائل الليبية (العقون، 2016، صفحة 91).

كتاب هيرودوت كان بحق قاعدة أساسية للدراسات الانثروبولوجية المتعلقة بالليبين القدماء،وقد أكدت المعطيات الأثرية والدراسات الأنثروبولوجية صحة كثير من أخباره وبخاصة عادات وتقاليد مختلف تلك القبائل وما يهمنا في أحاديثه تلك هي الفقرات الخاصة بذكر المرأة وفي جوانب عدة كاللباس والحلاقة والعادات وتربية الأطفال (شنيتي، 2012، صفحة 193).حيث يعتبر من بين أهم المصادر التي تحدثت عنها أثناء أحاديثه عن الليبيين.

1. اللباس:

لم تنل الجوانب المتعلقة بحياة الناس اليومية وعاداتهم وتقاليدهم وملابسهم ذلك القدر من الإهتمام،فتعددت وإختلفت المصادر التي تمكننا من التعرف على جوانب الحياة اليومية في القديم وبالأخص اللباس ،ولعل من أبرز المصادر الرسوم الصخرية والمصادر المكتوبة لقدماء المؤرخين وفي وقت لاحق النصب الجنائزية والنذرية وحتى المسكوكات بالإضافة الى اللقى الأثرية بالمقابر على الرغم من أنها لا تعطينا لمحة كافية عن لباس الليبيات (قرطن سرتا، 2015، صفحة 55). فاللباس الليبي يشكل على تنوعه عاملا هاما في إظهار الطبيعة التي كانت سائدة في تلك الفترة، بالإضافة الى تبيان نمط معيشة الأفراد،كما يمكننا معرفة خصائص وأنواع الألبسة ومواد صنعها والألوان التي صبغت بها (قرطن سرتا، 2015، صفحة 55).

لعل من أقدم المصادر التي تظهر لنا الملابس التي إرتداها ساكني المغرب القديم هي الرسوم الصخرية وبالتحديد مرحلة الرؤوس المستديرة (Rounded Head period) ،تمثل مشاهد حية على مختلف أنماط الألبسة التي انتشرت بالمنطقة في تلك الأزمنة وشكلت قاعدة الألبسة التي سادت في فترات لاحقة وهي ملابس جلدية إرتداها الغرامنت مربوا الخيول(هم قبائل عاشوا جنوب ليبيا في بيئة صحراوية ذكرتهم مختلف المصادر الكتابية القديمة والأثرية الفن الصخري بالأخص). يمكن تميز المرأة في رسومات الفن الصخري من خلال الزينات الجسدية الكثيرة فهي تغطي الجسم كله ،كما نذكر وجود الأساور والزينات الجسدية والأشرطة و الحزام في الوسط والذراع،وعند المرفق و الركبة والزوائد المتدلية على الذراعين والساقين ووجود ريشات و قرون فوق الرأس في بعض الأساليب، فمعظم الشخصيات الأنثوية نجدها بهذا الأسلوب ومتماثلة خصوصا من حيث الزينات الجسدية (Hachid, 2000, p. 216).فمن خلال هذه الرسوم الصخرية المنتشرة بالجنوب الكبير نجد بأن اللباس عرف في جميع المراحل التي عرف بها الفن الصخري،وقدمت لنا رسوم القنادسة بولاية بشار أوضح الأمثلة على تفصيلة الملابس الليبية(العباءة العريضة) (شنيتي م.، 2007، صفحة 88).كما أظهرت رسوم الأطلس الصحراوي أشخاص بتنانير قصيرة وفي أحيان أخرى معاطف طويلة مشكلة من قطعة واحدة مستطيلة تغطي الشخص من كتفيه إلى أسفل الركبة ،مزينة بزخارف (بحرة، 2005، الصفحات 29-33).

أشار كثير من المؤرخين الاغريق والرومان الى الملابس الليبية فذكر ديودور الصقلي أن أجسام الليبين لا يغطيها سوى جلود الماعز. أما هيرودوت في تواريخه وفي عدة فقرات أشار الى ما كانت تلبسه المرأة الليبية القديمة(الفقرة168-176-180-189) ومن ذلك إشارته الى قبيلة الاديرماخيداي (Adurmakhidae) الواقعة ما بين حدود مصر إلى الميناء الذي يسمى بلينوس(Blynos)، (الأعشي، 2008، صفحة 36) "... الاديرماخيداي يستعملون عادات أكثرها مصرية ويرتدون ملابس تشبه ملابس الليبيين الآخرين،وترتدي نساؤهم حلقات برونزية حول كلتا الساقين..." (هيرودوت IV، 168).وهي فقرة دلت على أن إستخدام الخلخال للزينة قديم ببلاد المغرب القديم .

وبالفقرة 176 يذكر هيرودوت "... يكون المكاي متبوعين بالجندانس (Cindanes) كل واحدة من نساء هؤلاء تلبس حلقات جلدية كثيرة حول الكاحل.كما يقال فإن الواحدة تلبس حلقة عن كل رجل تعاشره والتي يكون لديها حلقات أكثر ينظر إليها بأنها ممتازة لأنها أحبها كثير من الرجال" (هيرودوت، IV,176) ،ويمكن تعليل ذلك بترغيب الخطاب فيها خاصة إذا علمنا أن الكثير من فتيات قبائل الشعوب القديمة كن يمتهن الدعارة لجمع المهر في حالة كون عرف القبيلة يقتضي دفع المرأة مهرا للرجل وبذا وبالنظر لعدد الاشرطة يعلم بأن المهر أصبح جاهز (مقدم، 2013/2012، صفحة 248).

ثم في فقرة أخرى يعترف هيرودوت بأن الإغريق اقترضوا مجموعة من العادات من الليبيين "....كذلك فإن ملابس ودروع وتماثيل أثينا قد نقلها الإغريق عن النساء الليبيات،غير أن لباس الليبيات يكون من الجلد وأن سرابات الزينة المتدلية من الدروع ليست ثعابين بل هي من الجلد أما بقية الاشياء متشابهة.....النساء الليبيات يضعن على أثوابهن شرابات من جلد الماعز خالية من الشعر وملونة بلون أحمر..." (هيرودوتIV، 189)لقد اقتبس الإغريق عن الليبيين لباس ودرع تماثيل آثينا، وان اسم البالاديات (Les palladia) الذي يطلق على درع تماثيل الربة آثينا أصله ليبي، فمن الإيجيات استخرج الاغريق الإيجيد (Egid) أي الدرع الذي يرجح انه مصنوع من جلد الماعز،ومن التأثيرات أيضا والإقتباسات أن الاغريق اخذوا عن الليبيين استعمال العربة التي ترجها أربعة خيول (الأعشي، 2008، صفحة 74).فما كانت ترتديه الليبيات من أثواب ذات شبه

كبير بملابس الإغريقيات حتى إعتقد أن تفصيلة الليبيات أصل لبعض الملابس المنتشرة في بلاد الإغريق (شنيتي م.، 2007، صفحة 90).

أيضا في فقرة أخرى يتحدث هيرودوت عن لباس المرأة الليبية ".....ويستوطن الأوسيس (Auses) بجوار الماكليس على ضفاف بحيرة تريتونيس ويفصل بينهما نهر تريتون، ويتميز الماكسيين بإطالة شعر آخر الرأس،أما الأوسيس فيطيلون شعر مقدمة الرأس، ومن عاداتهم إقامة حفل سنوي على شرف الربة آثينا تتوزع فيه الفتيات الى مجموعتين يتصارعن بالعصي وإذا أصيبت إحداهن وماتت متأثرة بجراحها تعتبر غير عذراء فيتوقف القتال ويتم اختيار أجمل فتاة ويلبسونها درعا إغريقية وخوذة كورنثية ويطاف بها حول بحيرة تريتون على عربة" (هيرودوتIV، 180).

لقد تشابهت ملابس وحلي نساء المجتمع الليبي عبر الزمن مع بعض الإختلافات البسيطة،فلباسهن كان أكثر بساطة وذو طابع ريفي،من جلود وأصواف قطعانهم ومن الحيوانات الضارية التي كان يصطادونها كما ذكرته أغلب المصادر (بيكار، 2020، صفحة 223).إرتدت النساء الليبيات العباءة الواسعة والشريطين الجلديين المتقاطعين وجراب العورة سواء للرجال وحتى النساء على حد سواء،وكن ينتعلن النعال الخفيفة وهي بسيطة جدا مكونة من نعل شبه مستطيل زواياه مرفوعة ومربوطة بشرائط جلدية تتشابك وتلتف حول الكاحل (عيساوي، 2010/2009، صفحة 120)،إرتدت المرأة زي الرجال وذلك عند تقلدها لمنصب قيادي وهو ما صورته نقوش سحو رع Sahure (أحد ملوك الأسرة الخامسة 2494-2345 ق.م)وكذلك نقوش معبد حابو(أو معبد رمسيس الثالث أحد ملوك الأسرة عشرين).

إستخدمت النساء الليبيات جلد الماعز على الاغلب في صناعة ملابسهن ،وكن يرتدين قميص طويلا ثم يضعن فوقه جلد الماغز ،ويقطعن الأطراف ويصبغنه بالأحمر الذي يرجع لإستعمال نبات الفوة. وعلى العموم الزي النسائي ليس معروفا كما هو الحال بالنسبة للزي الرجالي الذي عرفناه من عديد المصادر سواء المادية كالفن الصخري والآثار المصرية بالإضافة إلى ماكتبه الكتاب والجغرافيين والرحالة الإغريق واللاتين وبالأخص هيرودوت.

إذا فتعدد الأزياء في العصور القديمة هو إحدى مظاهر التمايز بين الجماعات البشرية فهي عنصر من عناصر الدراسة الإثنوغرافية للتجمعات القديمة ،فمثل إحدى الروابط المتينة بين عناصر السكان القدماء (شنيتي م.، 2007، صفحة 88).

أما الحلاقة والحلي فيذكر سترابون أن الليبيون كانوا يزينون مظهرهم بخصلات شعر مضفورة وحلي ذهبية وينظفون الأسنان ،ويقلموا الأظافر ونادرا مانراهم يلمسون بعضهم في الطرقات حتى يبقوا شعرهم المزين لايلمس (سترابون، 2003، صفحة 99).كما إهتمت الليبيات منذ القدم بكيفية وتنوع تسريحات وتصفيفات الشعر والتي في الغالب تميز قبيلة عن أخرى فمن خلال الوثائق المصرية التي أظهرت مظهر النساء الليبيات حيث كن يتركن شعورهن مسترسلة الى الكتفين ومنسدلة لتبلغ الصدر (ادريس مؤمن ، 2017، صفحة 9)فهيرودوت في تاريخه أورد وصفا لها في عدة فقرات من ذلك ماذكره في الفقرة .

أما الحلي فهي من بين الحاجيات الكمالية التي صنعها الانسان من مواد مختلفة ولأغراض مختلفة وقد عبرت عن الحالة الإجتماعية والإقتصادية والدينية لمرتديها،في بلاد المغرب القديم أعتبرت الحلي في الأصل تمائم لجلب الحظ قبل إستعمالها لغرض تزيني،فأظهرت الرسوم الصخرية أشخاصا يتحلون بقلائد وأساور

(غزال س.، 2007، صفحة 36).وقد تنوعت المواد التي صنعت منها الحلي فصنعت من المعادن،الصوان،بيض النعام،الزجاج.

2. الزواج :

تعتبر العائلة الليبية القديمة عائلة زيجية(زواجية) تكونت من مجموعة أشخاص إتحدوا بروابط الزواج والدم أو التبني (عقون، 2008، صفحة 171)،رغم أن بعض الدراسات الغربية تشير لعكس ذلك مستندة في ذلك على ما جاءت به المصادر وبالأخص ماكتبه هيرودوت الذي أشار في تاريخة الى تفصيلات العادات المميزة لكل قبيلة،فقدم معلومات قيمة عن بعض عناصر العقلية التي تميز الأسرة خاصة والمجتمع اللوبي القديم عامة.

تعرض هيرودوت في كثير من المرات للحديث عن الزيجات والإحتفالات التي كان يحتفل بها علانية في بعض القبائل الليبية (غزال، 2007، صفحة 36) ومن ذلك إشارته في الفقرة 168 من كتابه الرابع" من عادات قبيلة الأديرماخيداي إصطحاب العروس لمقابلة الملك قبل زفافها فإذا أعجبته إفتضها" (هيرودوت IV، 168).وهذه الظاهرة كانت معروفة لدى العديد من القبائل والشعوب القديمة كجزر البليار وأمريكا الجنوبية وإستمرت حتى فترة متأخرة بأوربا (بنت النبي، 1016، صفحة 338)،وهذا إعتقادا منهم بقداسة الملك أو بإعتباره ممثل الإله على الأرض فهو إعتقاد ديني قداسي (Gsell, 1915, p. 196).

كما أورد هيرودوت في الفقرة 172 أن من عادات النسامونيين أن يتخذ الرجل عدة زوجات والمرأة عندهم مشاع (هيرودوتIV، 172) لكن هذه الفكرة عن مشاعية المرأة في عرف القبائل الليبية فندتها رواية جوستيان (Justin)حين طلب الملك هيرباس الأميرة الفينيقية عليسة ديدون للزواج،فلو كانت المرأة مشاعا لإعتبرها حقا من حقوقه على إعتباره أنه ملك،والمقصود بالمشاعة إنما هو التعدد (بنت النبي، 1016، صفحة 338).فتعدد الزوجات كان موجود في مجتمع المغرب القديم من ذلك أن قبائل الليبو وحتى ملوك النوميد كانوا يقتنون أكبر عدد ممكن من الزوجات (غزال، 2007، صفحة 45).وقد أكد سترابون تعدد الزوجات بالمغرب القديم من خلال قوله:"والسكان على هنا على بساطة متناهية في أنماط حياتهم وثيابهم غير أن للرجال زوجات كثيرات واولاد كثيرون،وهم في جوانب معيشتهم كالعرب الرحل" (خشيم ، 1975، صفحة 60). لا تعني ظاهرة تعدد الزوجات على إنحطاط مكانة المرأة في المغرب القديم،والظاهر أن سببه الرغبة في إنجاب الكثير من الأولاد وهو ما يفسر العدد الكبير للسكان باللمنطقة قديما.

عرف الملوك والسكان المغاربة القدماء على السواء الزواج المختلط، بتزاوجهم من الشعوب والأقوام التي جاورتهم وممن وفدوا عليهم،ومن ذلك زواج بوغود من الإغريقية أونوي (Eunoé)،كما تزوج يوبا الثاني(25ق.م-23م) من كليوبترا سيليني البطلمية،وتزوج من إمرأة إغريقية أخرى تدعى أورانيا (Urania) (بنت النبي، 1016، صفحة 339).

أثار موضوع الزواج لدى سكان المغرب القديم جدلا كبيرا ،فبعض المؤرخين إعتمدوا إشارات هيرودوت كإنعدام الزواج لدى قبيلة المخيلس (Mechlyes) (Gsell, 1915, p. 151)وغيره من المصادر الأخرى ،يشير بلين القديم أن الغرامنت لم يمارسوا الزواج وكانوا ينتقلون من إمرأة لأخرى(PlineV, 45) كما أن الرجال الغرامنت لم تكن لهم زوجة ونسب الأطفال يعرف بالشبه الجسدي،وهي نفس العادة نجدها لدى قبيلة الأفسيس الأوسيس فمن تقاليدهم إذا ولد طفل بالقبيلة ينظرون حتى تظهر ملامحه ويحدد الوالد من

بين الحضور على أساس الشبه (هيرودوتIV، 180)، ليأكدوا ويثبتوا أن سكان المنطقة لم يعرفوا الزواج ،وعليه وجب علينا إعادة إستقراء تلك المصادر القديمة والرد على ما ورد فيها لأن العائلة المغاربية القديمة عائلة زواجية (عقون، 2008، صفحة 335).

3.العادات والتقاليد:

مارست المرأة اللوبية عدة أعمال إستطعنا التعرف عليها من خلال الأدلة التاريخية فلم تكن لتنحصر في الطعام وحلب المواشي وغزل الصوف والأعمال الزراعية وبعض الحرف اليدوية، وإنما كانت تمارس وظائف طقوسية وعلاجية إنفردت بها (عيساوي، 2010/2009، صفحة 170)،تحدث هيرودوت عن عادة لدى الليبيات تمثلت في الغناء بشكل جذاب وأخاذ ربما قصد بها الزغاريد التي عرفنها منذ القدم ،وذلك عندما تناول الصرخات التي تطلقها النساء الليبيات (جاب الله، 2018، صفحة 106) فيصفها"...ويبدو لي أن صيحات الفرح في الإحتفالات الدينية قد سمعت هنا لأول مرة لأن ذلك من عادة النساء الليبيات وهن يؤدين ذلك بشكل جيد" (هيرودوتIV، 189).فمن خلال هذه الفقرة نجد بأن الليبين القدماء وبالأخص النساء عرفوا العديد من الفنون ولعل أهمها الغناء والرقص،التي كانت بدائية جدا ولعل أبسط أشكالها تجسدت في الصرخات التي كانت تعبر عن النشوة والتي تنبه لها هيرودوت كما سبق الإشارة إليه.ويغلب الضن ان تكون هذه الصرخات هي أصل الزغاريد المعروفة اليوم (جاب الله، 2018، صفحة 108).

الإحتفالات الدينية هي المناسبات التي كانت النساء الليبيات يمارسن فيها الغناء ويطربن المستمعين حيث يظهرن قدراتهن الفنية،كما أن هذه الصرخات كان لها إرتباط بالحياة الدينية ودور أساسي في إقامة الطقوس والعبادات،ومن الأمثلة على ذلك غناء الليبيات بترانيم وصلوات غريبة للإله أمون عند الإحتفال بأعياده في واحة سيوة (جاب الله، 2018، صفحة 108).

كانت النساء الليبيات يتضرعن للآله من أجل إنجاب الأطفال وهو دليل واضح على مدى تدينهن،وقد أورد هيرودوت أن اللوبيات بقورينة كن يحرمن أكل لحم البقر إجلالا للإله إزيس المصري،ويكرسن لهن إحتفالات خاصة.كما أن النساء اللوبيات تقرن لآلهة إناث كالآلهة تانيت (ملاح، 2001، صفحة 270).

كما يشير هيرودوت في كتابه الى دور آخر تقلدته المأة الليبية ،ففي فقرة من مؤلفه تعرض لقوة وقدرة المرأة الليبية على مشاركة الرجل حتى في الحرب ،فحسبه دائما كانت نساء قبيلة الزواكس هن من تقدن عربات القتال،ويتفقدن المحاربين في المعارك،وينصبن الخيام للجند ويعتنين بالإبل والخيل (هيرودوتIV، 193).كما أشاد مؤرخون أخرون بدور المرأة عسكريا منها ماذكره ديودور الصقلي عن الأماوزونات(Amazones) بجزيرة هيسبيري (Hesperie) الواقعة أقصى غرب ليبيا على ضفاف بحيرة تريتونيس،وممارستهن للتدريبات العسكرية وبراعتهن الحربية وبعد نهاية مهامهن العسكرية كن يتزوجن لإنجاب الأطفال(Diodore de Sicile, III,52,53) ،وتحدث ديودور الصقلي في موضع آخر من مؤلفه على نوع آخر من النساء غريب يدعى بالغرغونات ،والتي تعني منزوعي الأثداء فكانت الأمهات يقمن بكي أثداء أطفالهن من الإناث حتى لا تنمو وتكبر عند البلوغ ،وذلك لأن مهمتهن عند البلوغ تكمن في قيادة الجيوش والمشاركة في الحروب(Diodore de Sicile, III,52,53) ،كما روى بروكوب في القرن السادس ميلادي إستمرار تقاليد مشاركة المرأة في القتال (عقون، 2008، صفحة 174).

تحدث هيرودوت أيضا عن دور المرأة إقتصاديا "يقول القرطاجيون أنه مقابل أرضهم جزيرة يكون إسمها كيرافيس .....وهي مليئة بأشجار الزيتون والعنب، وبهذه الجزيرة توجد بحيرة تستخرج منها عذارى البلاد التبر(الذهب) بإنتشاله من الطمي...." (هيرودوتIV، 195) فهو من خلال فقرته هده تحدث عن تجميع المرأة للذهب.

كما مارست المرأة الليبية وظائف طقوسية وعلاجية إنفردت بها حيث كانت تقوم بكي عروق الصدغ عندما يبلغ الطفل الرابعة من عمره كي لا يمرض طيلة حياته ويتقي شر الأرواح الخفية،بالإضافة لقيامهن برش الطفل ببول الماعز لنفس الغرض (هيرودوتIV، 187) وتقوم بهذه العملية نسوة مهرة من البدو الرحل عن طريق كي قمة الرأس أو حول الأوردة بخيط من الصوف وفي الغالب النساء هن من يتعرضن للكي (Bates, 1914, p. 113).وتدخل هذه الطقوس في الدور الذي لعبته المرأة في تربية أطفالها وتلبية إحتياجاتهم والسهر على راحتهم.

ويعتقد هيرودوت أن عادة الندب والنواح في الطقوس ليبية الأصل يرجع الفضل فيها للنساء الليبيات اللاتي لهن أسلوب جميل فيها (بنت النبي، 1016، صفحة 344) .

تطرق هيرودوت لبعض العادات والتقاليد ندكر منها: عادة كانت تقوم بها نساء قبيلة الأديوماخيداي وهي عادة عض القمل"...إذا بدأنا من مصر فإن أول الليبيين الذين يسكنون هم الاديرماخيدي الدين يستعملون عادات أكثرها مصرية ويرتدون ملابس تشبه ملابس الليبيين الاخرين ،وترتدي نساؤهم حلقات برونزية حول كلتا الساقين ويطلن شعورهن ،وعندما تمسكن القمل فإن كل واحدة تقضم ماتمسكه في شعرها وتلقيه الى أسفل ،وهؤلاء فقط يفعلن ذلك من بين الليبيات ..." (هيرودوت IV، 168).ما ورد في هذه الفقرة دفع ببعض الدراسات الغربية للقول بأن نساء الأديوماخيداي كن يأكلن القمل.

II. خاتمة:

هذا ما إستطعنا جمعه من كتابات هيرودوت عن الليبيات في تواريخه والتي قدمت لنا صور عديدة عن حياة المرأة ونشاطاتها في مجتمع بلاد المغرب القديم. فقد كانت لها مكانة لا يستهان بها فهي بحق العمود الفقري للمجتمع ولها دور أساسي وفعال كتربية الأطفال والأعمال المنزلية المختلفة، وحتى أنها شاركت الرجل في حروبه.

في الأخير رغم أن هيرودوت يوصف بـ"أب التاريخ"، إلا أن مؤلفه الضخم لم يسلم من الانتقادات، فالكتاب يتضمن بلا شك بعض الأساطير والخرافات المنتشرة في ثقافة عصره، ورغم ذلك تبقى كتاباته مصدرنا المهم لمعرفة مختلف جوانب المجتمع الليبي من خلال محاولة إعادة النظر وإستقراء ما جاء فيها وإسقاطها على الواقع فالدراسات الأنثروبولوجية المتعلقة بالليبيين القدماء إعتمدت كثيرا كتابات هيرودوت وقد أثبتت هذه الدراسات وحتى المعطيات الأثرية ما جاء به في أحيان كثيرة ،فكثير من تلك العادات لاتزال تمارس الى يومنا هذا.

الإحالات والمراجع:

- **المؤلفات :**

الأعشي مصطفى،أحاديث هيرودوت عن الليبين(الأمازيغ)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية،الرباط،2008.

بحرة ,نادية،دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة آدمر(الطاسيلي آزجر –الصحراء الوسطى)،مذكرة ماجستير،جامعة الجزائر 2،الجزائر،2005.

بيكار جيلبار شارل، حضارة شمال إفريقيا تريبوليتانيا-لبروقنصلية-نوميديا-موريطانيا خلال الفترة الروماني،تر:محمد العربي,عقون،ط1، المثقف للنشر والتوزيع،2020.

ج.ايفانز ، هيرودوت،تر:أمين سلامة.

حيدر كامل،منهج البحث الأثري والتاريخي،دار الفكر اللبناني،بيروت،1995.

خشيم علي،نصوص ليبية من هيرودوتس-سترابو-بليني الاكبر-ديودور الصقلي-بروكوبيوس القيصري-ليون الافريقي،دار مكتبة الفكر،طرابلس،1975.

خفاجة محمد صقر، هيرودوت يتحدث عن مصر،دار القلم القاهرة،مصر،1966.

سترابون، جغرافية سترابون الكتاب السابع عشر،تر:محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة قاربونس،بنغازي،2003.

شنيتي محمد البشير، الجزائر قراءة في جذور التاريخ و شواهد الحضارة ،دار الهدى عين مليلة،الجزائر،2007.

شنيتي محمد البشير،نوميديا وروما الامبراطورية تحولات إقتصادية وإجتماعية في ظل الاحتلال ،كنوز الحكمة،الجزائر،2012.

عقون محمد العربي، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2008.

عيساوي مها،المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم(من عصور ماقبل التاريخ الى الفتح الاسلامي)،أطروحة دكتوراه،إ:محمد الصغير غانم.جامعة منتوري، قسنطينة،2010/2009.

غزال ستيفن، تاريخ شمال إفريقيا القديم ،تر:التازي سعود،ج5،الرباط :أكاديمية المملكة المغربية،الرباط،2007.

قرطن سرتا،قرطن والممالك النوميدية من القرن7ق.م الى القرن 1ق.م ،كتاب جماعي.،وزارة الثقافة،قسنطينة،2015.

مقدم بنت النبي، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الامبراطوري الأعلى ،أطروحة دكتوراه.إ:بلقاسم رحماني.جامعة الجزائر2(قسم التاريخ) ،الجزائر.1013/2012.

ملاح عبد الإله، تاريخ هيرودوت ،المجمع الثقافي،أبو ظبي،2001.

هيرودوت،الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، تر:محمد مبروك الدويب،منشورات جامعة قاريونس،[،بنغازي،2003.

- **المقالات :**

ادريس مؤمن علي، المظاهر الحضارية للمجتمع اللوبي القديم .المجلة الليبية العالمية،المجلد2،العدد27،سبتمبر 2017.

العقون أم الخير،من مصادر تاريخ المغرب القديم"الرسوم الصخرية والأثار المصري."،مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،*CRASC* ،وهران،2016.

خالد آدم أحميدة جاب الله، الموسيقى والطرب في المجتمع الليبي قبل الاستيطان الإغريقي، المؤتمر العلمي الثاني لكلية الأداب جامعة الزاوية 2018/05/16/15.

مقدم بنت النبي،هيرودوت يتحدث عن الحياة الاجتماعية لسكان المغرب القديم،أبحاث ودراسات تكريما للاستاذين محمد البشير شنيتي ومحمد خير أورفه،مجلة كنوز الحكمة،2016.

- **الفرنسية:**

Bates. O, The Eastern lybians an Essay, St Martin's Street, london,1914.

Diodore de Sicile, Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile, Trad par ; Ferdinand Hoefer , T ;3, éd.AdolpheDelahays. III.

Gsell. s, Hérodot, Texts relatifs a l'histoire de l'Afrique du nord,de médeiros(F),L'Occident et l'afrique,XIIIe-XVe sicle, karthala, alger,1915.

Hachid. M, le Tassili des ajjer.aux sources de l'Afrique 50 siecles avant les pyramidesmediterranée. paris,2000.

Pline l'ancien, H. N, liv.V, l'Afrique du nord, Trad, J. Desanges.